هذه الصفحة تقدم اضاءة للقارىء العراقي من الصحافة العالمية ولاتعبر المقالات الواردة فيها بالضرورة عن رأي (المدى)

الديمقراطية المتآكلة في أمريكا اللاتينية

بقلم / ثيليا سوتيرمان
ترجمة / عادل العامل

يشهد عدد من بلدان امريكا اللاتينية في الفترة الاخيرة "تأرجحاً نحو اليسار" يتمثل في انتخاب حكومات يسار الوسط في البرازيل وتشيلي، وشخصيات أكثر راديكالية في فنزويلا وبوليفيا، وموجة من الاهتزازات والاحتجاجات الاجتماعية في بلدان مختلفة مثل الأرجنتين، والايكوادور والمكسيك في السنوات الاولى من القرن الحادي والعشرين، وعلى كل حال، فإن القصة سطحية لا أكثر فهي تهمل عاملاً أساسياً: التيارات الشعبية، والقومية والفاشية Authoritarian التي عادت الى السطح في اماكن كثيرة، وتكشف رواية كاملة لهذا العامل ان ما هو أعمق في امريكا اللاتينية ليس يساراً مولوداً يزيد في تآكل المؤسسات السياسية المدمرة الآن.

والاشارة الواضحة لهذا الاتجاه الاكثر أساسية ظاهرة في مقارنة الاداء النوعي لمؤسسات الحكم على امتداد الاقليم، فقد كانت تشيلي واروغواي تاريخياً قمة هذا التحالف الخاص، تتبعها (بشيء من المسافة) البرازيل.

وهناك في الاسفل بيرو، اما في مكان ما من الوسط، ولكن مع دلالات قوية على تحرك منحدر، فهناك الأرجنتين.

ان حكومات تشيلي واروغواي (والبرازيل تتحرك في اتجاههما) يمكن فهمها بيسر كدول اجتماعية –ديمقراطية، تتولى أمر مجتمع يطمح في الاقل الى شيء من الملامح الكلاسيكية لنظام ديمقراطي: ثقافة سياسية متشاطرة يحترم فيها حكم القانون، والحريات والمؤسسات الراسخة، ومجتمع تضمن فيه مساواة المواطنين.

ومن الاصعب هنا تحديد المجتمعات، والمؤسسات والثقافات السياسية للبلدان التي في أسفل الرابطة، ويمكن ان تساعدنا وجهة نظر تاريخية في تحديد جذور مثل هذا التشعب: التقاليد الديمقراطية الطويلة البقاء (وان اعترضها التدخل العسكري في فترات معينة) في بلدان القمة، والتقاليد الشعوبية والقومية القائمة في البلدان الكائنة في الأسفل.

وفي هذا السياق، فان الأرجنتين تعتبر سيئة الحظ على نحو مضاعف: الشعبي، والبيروني. ولابد هنا من استذكار ان فترات الجمهورية الليبرالية والديمقراطية حقاً في الأرجنتين لم تستمر في مجموعها أكثر من ١٢ سنة حتى استعادة الديمقراطية في عام ١٩٨٣ بعد سبع سنوات من الدكتاتورية العسكرية. وعلى كل حال، فمنذ عام ٢٠٠٢، كان الارتداد والالتفاف من دون لين.

فلماذا ديمقراطية الارجنتين في مشكلة؟ ان جزءاً من ذلك يتمثل في ان قدر"الديمقراطية" (بتعريفها الاجتماعي، والليبرالي والجمهوري) هو في أيدي اولئك الذين لا يهتمون بالمؤسسات الأساسية للديمقراطية ولا يدركون اهميتها: حكم القانون، الفصل بين السلطات (بما في ذلك القضاء المستقبل)، وامكانية محاسبة الحكومة، حرية الصحافة، وثقافة المصالحة والتسامح.

وهذا ما لا يقبله البيرونيون والشعبيون على حد سواء، فما يشغل الجناح اليميني لا ما يحتاجه أو يطلبه "الشعب"، وانما ما يستخدمه "اعداء الشعب" لاخفاء نياتهم الشريرة.

وان النمو الاقتصادي المؤثر الذي مكن الأرجنتين من التعافي من انهيارها الفعلي في كانون الأول ٢٠٠١ لا يمكنه ان يخفي ان نوعاً من ديمقراطية "متدهورة" أو "واطئة الشدة" قد سيطر تحت قيادة رئيسها نستور كيرشنر.

ولقد احتفل كيرشنر بمرور ثلاث سنوات عليه في السلطة يوم ٢٥ آيار ٢٠٠٦ في اجتماع جماهيري في بوينس آيرس التي ترى بشكل واسع كمعلم من معالم حملة اعادة انتخابه في عام ٢٠٠٧، وصدقية لتعريف القائد الشعبوي خوان بيرون لفترة ما بعد ١٩٤٥ نفسه، فان كيرشنر يتصور السياسة "فن قيادة الرجال".

ومع هذا فان هذا "الفن" يمكن تصوره بالمصطلحات العسكرية والفاشية أكثر مما بالمصطلحات الديمقراطية أو العلائقية:

فهو كله حول تجسيد السلطة، والنظام الصارم والاذعان لـ"القائد" وتكديس السلطة والهيمنة الطاغية.

وقد قال ريكاردو لاغوس، سلف ميتشيل باتشيليت كرئيس لجمهورية تشيلي، ان الشعبية لا يمكنها الاستمرار في البقاء من دون فائض مالي. وان تكاثر الاموال الموزعة بمرسوم تنفيذي كوسيلة للرعاية- تجاهلاً للمسؤولية التشريعية- هو واحد من الشفافية. وهناك افتقار ادارة كيرشنر الى الشفافية. وهناك امثلة أخرى: من انتهاك قواعد تمويل الحملة الى تعيين قادة البكويتيرو الذين احرقوا مركز شرطة الى الاوضاع الحكومية.

ان اختيار البكويتيرو piquetoros الراديكاليين، القائمين بالاضرابات واحتلال المعامل، في الحكومة يمكن عقلنته كجزء من ستراتيجية لزجهم في السياسة الديمقراطية الخالية من العنف. وهو، على الصعيد العملي، بالاحرى اذعان للتهديد. ويمكن رؤية هذه الذهنية نفسها في تسييس التعيينات القضائية، التي تقضم مبدأ التعددية والضوابط الفعالة والتوازنات في عالم الرأي العام (وقد بعثت منظمة مراقبة حقوق الانسان رسالة الى الرئيس كيرشنر في شباط ٢٠٠٦ تعبر فيها عن قلقها من "اصلاحاته" في هذا المجال).

وفي غضون ذلك، فان الكونغرس الارجنتيني غير فعال عملياً، واينما التقى فانه يبدي غفلة لافتة للنظر تجاه دستور عام ١٩٩٤، وتشترط هذه الوثيقة ان على رئيس مجلس الوزراء ان يكتب تقريراً الى الكونغرس مرة واحدة في الاقل في الشهر، ولم يفعل ذلك الا سبع مرات منذ آيار ٢٠٠٣، ومرة واحدة في عام ٢٠٠٥ كله.

ومن الصعب تحديد الثقافة السياسية، ومع هذا فالكثير من الامور التي تجري في الأرجنتين يمكن فهمها فقط على خلفية من المواجهة العنيدة والعنيفة بين جماعات منقسمة لا بفعل الهويات الإيديولوجية أو البرنامجية بل بفعل مطاردة لا ترحم من جهاز الدولة ومواردها المالية.

وفي تركيزها الذي ليس في محله على السياسات والأحزاب الراديكالية وليس على مؤسسات الحكومة، فان حكاية الانبعاث اليساري- في الأرجنتين، كما في أي مكان آخر من امريكا اللاتينية- تخفق كلياً في إدراك مثل هذه الوقائع. وهكذا فعندما يصخب القادة الشعبيون ضد "السوق" ويمتدحون "الدولة" فانهم لا يحاولون في الحقيقة فهم ما ينبغي ان يكون عليه دور الدولة، وانما هم، بالاحرى، يحددون "عدو الشعب" (رجال الاعمال، الأجانب والمحليين- لكن الأجانب بوجه خاص شياطين صندوق النقد الدولي والبنك العالمي، وفي بعض الحالات الاوليغاركيين الذين لا وجود لهم).

والاستنتاج المنطقي لتخيلاتهم هو "دولة" في أيدي "الشعب" (أي الحزب الحاكم وزبائنه وأصحابه)، تصرف الأموال العامة عندما تكون متيسرة، من دون الشعور بالحاجة الى تقديم بيان عن مثل هذا الصرف. وبعد كل هذا، فان المديرين الجدد للدولة هم "الشعب" وهم يمثلون "الخير" اما اولئك الذين يستفسرون عن صرفهم، فهم الاعداء "الليبراليون الجدد" واتباعهم في الصحافة!

وهذا النوع من السياسة مألوف جداً في امريكا اللاتينية- ولو بمظاهر أخرى. وقد أدى الى فوضى اقتصادية، وكراهية اجتماعية، وفقر، وفساد طاغٍ، وانعدام للقانون وارتفاع حاد في الأسعار.

عن: انترناشنال هيرالدتربيون

طبق الاصل

من اعمال الراحل مؤيد نعمة

جيل كارول تستعيد ذكرى اختطافها في بغداد

الحلقة السادسة

آمال خائبة

وتمضي جيل كارول في حكايتها:

في نهاية كانون الثاني، كانت انتقالتنا الثانية متعبة أحسست بحرارة شديدة جراء السفر، تقيأت كل ما في معدتي لم يكونوا على علم بأني اتعرض لهذا على الدوام عند السفر بواسطة السيارة.

سألني ابو رشا: "هل انت مريضة؟ هل انت بحاجة إلى طبيب؟ بامكاننا جلب طبيب لك. "مستمراً في قيادة السيارة. مرة ثانية وثالثة رأيت ان ايمانهم سيسمح لهم بمنع الحرية عني، مثل الآن، وهو ايضا يسمح او يدفعهم للتعبير عن اهتمامهم الخالص بصحتي وحالتي كرهينة.

عندما وصلنا قادوني بحالتي تلك، إلى منزل جديد –المكان السادس في ثلاثة اسابيع، احتجز فيه. لم تكن امور مهمة تدفعهم إلى الانتقال: مجرد حركة هليكوبتر في السماء او نباح كلاب سائبة في الليل او مرور دورية امريكية في المنطقة وفي هذه المرة ظننت ان المنزل كان جنوب بغداد، العسكريون الامريكيون يقولون اليوم انه كان بالقرب من ابي غريب.

وما ان دخلنا المنزل حتى اخذوني إلى الحمام، ونزعت عني ملابسي المتسخة.

كان المنزل حديثاً جدا بحيث ان المجاهدين كانوا لا يزالون يبنون من حولي، لا عائلة تعيش فيه. هذا المنزل كان شيد من قبل (ابو نور)، من اجل استعمال المجاهدين فحسب، ولعقد الاجتماعات، ولصنع القنابل، ومن اجلي ، (سجنا): في ذهني اطلقت عليه اسم "منزل النادي".

لم يكن للنساء وجود في هذا المكان ولا اطفال للاتصال بيني وبين الخاطفين

–او لمشاهدة مصيري المحتوم. في حين كنت احس بنوع من الامان مع وجود اسر المجاهدين. ربما كانت افكاري وهماً وفي كل الاحوال، قد تبدد ذلك الآن.

ومع استمرار فترة احتجازي، بدأت احس بتزايد الضغط النفسي والبدني.

النشاط البدني كان معدوماً وتعليقات الخاطفين الذين لم يعرفوا إلا القليل عن الامريكيين، وذلك بدهشتهم الشديدة وصدمتهم من عدم كوني شقراء –جعلتني في بعض الاحيان احس اني حيوان في حديقة يتفرجون عليه.

اصبحت حالتي الصحية صعبة، وكنت آنذاك استلقي ليلا، وتنتفخ عيناي، اغمضهما واشعر حينذاك ان جفني ليسا كبيرين بقدر حجم كرتي العينين.

واحيانا كنت افكر باناس في الوطن ويراودني ازاء ذلك احساس بالراحة، جداي من الكاثوليك ويذهبان إلى الكنيسة يومياً، اتذكر كم هو الوقت في اميركا واقول، "اراهن انهما يصليان من اجلي الآن تماما. اراهن ان الوقت لو كان مبكراً الآن. كنت ساتخيل والدتي ووالدي، وشقيقتي التوأم، كاتي، ستستيقظ من نومها وان كان الوقت متأخرا بعض الشيء سأفكر "انهم الآن في جلستهم الصباحية بجوار المونتير ربما انهم يتحدثون عني كانت تلك طريقتي الوحيدة في الهرب.

المنزل –النادي

في المرة الاولى في المنزل –النادي، كنت سعيدة للجلوس وحيدة في غرفة نومي من دون ان يزعجني احد.

بين دقائق ذعري، في خلال مدة احتجازي، كانت هناك ساعات طويلة لا افعل فيها شيئاً، وفي هذا المكان لم ارغب في الاطلاع على ما في خارج الغرفة، لانني حاولت الابقاء على الاحساس لكون المكان جديداً، وايضاً على متعة النظر إلى اشياء جديدة اطول مدة ممكنة ، بعد الخوف كان الضجر معذبي وعدوي الدائم.

وكنت افكر، سأمضي اليوم بالتطلع إلى المدفأة الكهربائية، وغداً ساجلس في ركن آخر من الغرفة وان المشهد يكون مختلفاً.

يبدو الامر غير معقول اليوم، كان آنذاك يبدو طبيعياً والمرء ان نظر إلى كل شيء نظرة تشمل جميع ما فيه، فان المشهد سيبدو اعتيادياً ومضجراً بشكل سريع.

وهناك غنيت لنفسي اغاني المخيمات واغنيات كانت امي تغنيها لي باستمرار، وكنت اتخيل كيف ان المارينز سيقومون بانقاذي. وكثيراً ما تذكرت اصدقائي القدامى والاختيارات التي قمت بها. لقد ناقشت بعمق قراري في المجيء إلى العراق، وخصصت عاما في الاردن لدراسة العربية، وعملت في صحيفة يومية باللغة الانكليزية، متعلمة ببطء، من اجل ماذا؟ من اجل قضاء ايامي الاخيرة تحت رحمة المجاهدين؟ لو اني تخلصت يوماً هكذا قررت، فاني لن اغادر الولايات المتحدة الامريكية ثانية.

وفي الليل، كنت افكر بكاتي، وهي ترسل رسائلها الذهنية، انا بخير، لا تقلقي هل تحسين بي؟ وفي ذهني اكتب رسائل لوالدي في نورك كارولاينا، احكي له عن ايامي، اتخيله يحتضنني ويعانقني في مدخل الدار، سارداً علي ما حدث وان كل شيء على ما يرام، وقضيت وقتاً طويلا في تأمل اصابع قدمي.

بعد بضعة ايام في المنزل- النادي، سألني الحراس ان كنت ارغب في مراقبتهم في اعداد الطعام، ثم سمحوا لي بمشاهدة قليلة للتلفزيون، وسمحوا لي في تلك الفترة، بالمشي على طول المنزل، حوالي (١٥) قدماً، وايضا المساعدة في غسل الصحون واعداد الوجبات، كنت اكثر من سعيدة بتلك الانشطة بعد ان امضيت ساعات طويلة في اللاشيء.

اشعة الشمس اصبحت الفائدة الوحيدة التي اراحتني، وكانت تتسلل إلى غرفة المعيشة حيث كان حراسي ينامون وحيث كنا جميعاً نتناول الطعام.

كنت في اشد الشوق للشمس بعد ايام مؤلمة في غرف معتمة في منزل، (ابو غريب)، مع ام علي، التي فارقتني الآن.

احد الحراس في هذا المنزل، الذي كان هو شخصياً قد امضى زمناً في السجن، بدأ متفهما مشاعري، وفي احد الايام وقبل الافطار، ازاح الستائر جانبا وقال: شمس، متطلعاً إلى الاشعة القادمة عبر زجاج النافذة، جلست على الارض حيث يسقط شعاع الشمس واغمضت عيني وشعرت بالدفء.

❖❖❖

وفي هذه المرحلة، كنت تعلمت الكثير عن طريق عمل المجاهدين وبالنسبة لي، في الاقل، بدأت وسائلهم غاية في الذكاء.

ومثالا على ذلك: رجال ذوو لحى، سيارات تحمل شخصاً واحدا او اثنين، كانت تجذب اهتمام رجال الدوريات ونقاط التفتيش لذلك السبب كانوا يحلقون ذقونهم، ويتجولون مع عوائلهم: اطفالا ونساء، كما انهم كانوا في سياراتهم يستعملون اناشيد وموسيقى الشيعة، وهم كمتمردين كانوا يحاولون ان لا يبدوا كمتمردين.

❖❖❖

عدنان الدليمي واطلاق سراحي

من الفوائد التي ساعدتهم وجود الحقول بجوار منازلهم وكما اخبرني ابو نور، قائدهم ، اكثر من مرة: "بامكاني الخروج وزرع قنبلتي، ثم العودة إلى المنزل وتناول الغداء مع زوجتي ما الذي يفعله الجنود الامريكيون" انهم يذهبون إلى قواعدهم ولايجدون طعاما جيداً ولا يرون عوائلهم.

ابو نور (العينان بلون الحبر الاسود) لايروني كل يوم تقريباً من الواضح ان، المنزل –النادي، زيارته سهلة اكثر من المنازل السابقة الاخرى، وفي احدى تلك الزيارات تطرق إلى ذكر ماركريت حسن، وعند ذلك توسلت إلى الحراس بجنون ان اقتل ببندقية وليس بالسكين.

جيل كارول مع الخاطفين اثناء عرضها على شاشات التلفزيون

وفي ذلك المنزل ايضا بدا متشوقاً ان اجري معه (مقابلة) كان بدأ يرى في رسولاً انقل ما يقوله فكرة كنت احاول دفعها إلى اذهانهم، املا في ايجاد سبب لاطلاق سراحي.

كانت يداي ترتعشان وانا اجري تلك (المقابلات) ومن الامور الاخرى ان (ابو نور) اخبرني ان البعض من الشباب ينضمون إلى المجاهدين بسبب المعاملة السيئة في سجن (ابو غريب)، او أثر الهجمات الجوية على منازلهم في الليل. والكثير منهم سجلوا اسماءهم متطوعين للقتال في معارك اعتقدوا انها ستحقق نصراً كبيرا في نيسان ٢٠٠٤ من اجل الفلوجة، واضاف ابو نور ان البعض منهم لديهم اهداف غير نقية ولذلك خسروا الفلوجة في تشرين الثاني ٢٠٠٤,

واكد لي ابو نور، "المجاهد الجيد هو الذي يدخل الحرب، ليذهب إلى الجنة بعد موته".

وقال ايضا: "ان السنة المشاركين في الحكومة الحالية التي تدعمها الولايات المتحدة ، هم خونة للاسلام ويتوجب قتلهم".

كان الخاطفون يضحكون مثلا لدى ظهور عدنان الدليمي على شاشة التلفزيون –اما في حالة توجيه نداء لاطلاق سراحي او كجزء من مجموعة من السياسيين الذين يشكلون الحكومة الجديدة. وكنت ذهبت لاجراء مقابلة مع الدليمي عندما تم خطفي من امام مقره في بغداد.

وفي مؤتمر صحفي له في ٢٠ كانون الثاني، قال الدليمي: "باختطافها، توجهون اهانة لي انكم تهينون العمل الذي اقوم به من اجل العراق اطلقوا سراحها"

وكان حراسي يقولون: "انظري جيل ها ها ها هذا هو صديقك الدليمي... اوه ... رجاء .. اطلقوا جيل ! ها ها ها " وهكذا كانوا يسخرون منه.

بعد دقائق من اطلاق سراحي ، ساورتني الشكوك في الدليمي، كان الخاطفون في انتظارنا، عند مغادرتنا مكتبه. لابد من انهم علموا بموعدي معه.

في احدى تلك المحادثات في المنزل –النادي، قال ابو نور ان لقاء مع الدليمي تم في ذلك الاسبوع. وان الدليمي قد توسل إلى صاحب العينين بلون الحبر من اجل اطلاق سراحي. وفيما بعد اعلمني الحراس ان الدليمي قد عاد ثانية وقال الدليمي: "رجاء، اطلقوا سراحها الجنود الامريكيون يهددون باعتقال ابنائي، اخبروني اين هي جيل.. اطلقوا سراحها.".

❖❖❖

اطلاق سراح خمس نساء عراقيات خطوة اولى

كان الخاطفون يشعرون بالغضب كلما اطلق عليهم صفة "ارهابيون" ولكن مقتل عشرات من الابرياء باثر انشطتهم مثل مقتل مترجمي –الان، لم يلطخ نقاء جهادهم.

وقال ابو نور: "احيانا، عندما نحاول قتل جندي امريكي او عراقي نقتل في بعض المرات نساء او اطفالاً في تلك العملية ، ونحن لا نريد ذلك ولكن هذه هي الحرب".

وكان ابو نور ايضا يقول لي ان الناس يطالبون باطلاق سراحي ولكنه لم يقل ان كان ذلك امراً سيئاً او حسناً.

ومرة سألني ابو نور ان كنت اعرف قائد حركة حماس الفلسطينية واعتقدت ان ذلك السؤال جزء من امتحان شخصيتي ولكن علمت فيما بعد ان حماس اصدرت بيانا تطالب فيه باطلاق سراحي وتدين اختطافي او اختطاف المدنيين.

وعندما ظهر والداي للمرة الاولى على شاشة التلفزيون لاطلاق نداء من اجلي، قال ابو رشا، "والدك ووالدتك يقولان "هلو" لك. ثم اضاف: "رجل طيب، والدك رجل طيب جداً".

ويعني ذلك ان ما قالاه في التلفزيون ترك انطباعا حسنا لدى الناس.

في يوم من الايام، وصل ابو نور، وقال انه تم اطلاق خمس نساء سجينات من سجن (ابو غريب) وان ذلك يعتبر خبراً مهماً، وجيداً.

وقال: "هذه خطوة اولى وعلينا الانتقال إلى الخطوة الثانية".

وطلب مني تسجيل نداء آخر في شريط فيديو واطلب فيه اطلاق سراح جميع السجينات العراقيات.

اصبت بالانهيار، شريط فيديو آخر يعني انتظار اسابيع من اجل بثه على الهواء، والانتظار بعدئذ للرد، الرجل ذو العينين السوداوين، الشخص الذي اعتقد انه لم يكن ينظر اليّ كانسان، على الرغم من انه كان يجلب لي الشيكولاته من بغداد –اعتقد ان لديه شيئاً مهماً جدا. الشيء الاخير الذي سيفعلونه هو اطلاق سراحي.

ولم اعلم الا فيما بعد ان اطلاق سراح النسوة الخمس قد ساعد في تعقيد منحهم مبررات لقتلي.

عن كريستيان ساينس مونيتر

ترجمة: المدى

د. طارق الهاشمي مع الصحفية كارول وهي في زي (الحجاب)